المجلة المصرية للبحوث والدراسات الإسلامية-كلية الآداب-جامعة سوهاج-مج (١١) ع (١١) يناير ٢٠٢٤م- الصفحات(١٥٠-١٧٣)

القصص القرآني- الخصائص والغايات [١]

محمود خلف فرغل

باحث ماجستير بقسم الدراسات الإسلامية

Mfrghl077@gail.com

ملخص: " القصص القرآني" هو مصطلح يُستخدم للإشارة إلى الحكايات والسرد الذي يظهر في القرآن الكريم. هذه القصص تحمل قيمًا دينية وأخلاقية، وتستند إلى أحداث تاريخية وحقائق تعكس توجيهات الله وتعاليمه. يشتمل القرآن على العديد من القصص التي تروي قصائد وتجارب الأنبياء والرسل، وتحتوي على دروس وعبر تهدف إلى توجيه وتوجيه القرّاء والمؤمنين من بين القصص القرآنية الشهيرة تشمل قصة آدم وحواء، قصة نوح والطوفان، قصة إبراهيم وابنه إسماعيل، وقصص الأنبياء الآخرين مثل موسى وعيسى. تُعتبر هذه القصص مصدرًا هامًا للتعلم والتأمل في العقائد والأخلاق الإسلامية.... تظهر أهمية القصص القرآنية في عدة جوانب: توجيه العبر والدروس :وتوضيح القيم والمباديء والتحفيز والتأثير على النفوس والتواصل مع الفئات العمرية والبناء الاجتماعي والتأصيل التاريخي.

الكلمات المفتاحية : القرآن الكريم – القصة – القصص القرآني

[١]إعداد الباحث: محمود خلف فرغل .. البحث مشتق من رسالة ماجستير بعنوان(مناهج المفسرين في تناول القصص القرآني الإمام الخازن ت ٧٤١هـ أنموذجًا دراسة تفسيرية لغوية) إشراف: أ.د فتوح أحمد خليل الأستاذ بقسم اللغة العربية بكلية الاداب جامعة سوهاج، د عبدالله محمد يوسف الاستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية بكلية الاداب جامعة سوهاج

Summary : The Quranic Stories" is a term used to refer to the narratives and storytelling that appear in the Quran. These stories carry religious and moral values, based on historical events and facts that reflect the guidance and teachings of God. The Quran includes numerous stories that narrate the experiences of prophets and messengers, containing lessons and morals aimed at guiding and instructing readers and believers.

Among the famous Quranic stories are the tale of Adam and Eve, the story of Noah and the flood, the narrative of Abraham and his son Ishmael, and the stories of other prophets like Moses and Jesus. These stories are considered a significant source for learning and contemplating Islamic beliefs and ethics.

The importance of Quranic stories is evident in several aspects, constituting an integral part of Quranic content. Here are some points highlighting the significance of these stories: Guidance through Lessons, Social Construction, Historical Rooting,

Keyword: Quran- Quranic Stories- Quranic Narratives

مقدمة

يقول الله تبارك وتعالى (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ*هَذَا القُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ) سورة يوسف الآية (٣٠)

فالقرآن الكريم ليس كتاب ديني، أو أصل تشريعي فحسب، بل الدنيا فيه تقف بإزاء الآخرة، فنجد فيه الهداية والرشاد، نجد فيه الراحة والطمأنينة، المتعة والإثارة، التسلية والتعزية، نجد فيه علاجا لكافة المشكلات بأساليب متباينة حتى يتحقق تأثيره في النفوس على اختلاف مشاربها ونزعاتها.

والقصة أحد هذه الأساليب، وأحد أوجه نزول القرآن الكريم، فهي رفيقة الإنسان منذ بدء الخليقة، نشأت معبرة عن آلامه وأحلامه، غضبه، وفرحه، ومصورة للحياة التي يعيشها بكل أبعادها، ومن ثم لم يخلو عصر أو مجتمع من حظ وافر من القصص، والحكايات لما لها إذا

قورنت بالكلام العادي المرسل من أسلوب أخاذ يأسر القلوب، ويسيطر علي النفوس، ويهيئ العقول لحسن التلقي، فتذعن له في يقين وتسلم بالنتائج في رضا.

فالإنسان بفطرته يميل إلى سماع القصة أو قراءتها أو روايتها ويعيش مع أبطالها، ويتفاعل مع أحداثها فينتبه منها إلى حل لواقعه، أو رأى لمستقبله، ذلك أن مشكلات الإنسان مهما تباينت الأزمنة، ومهما اختلفت البيئات، ومهما تغيرت الظروف تكاد تكون واحدة، غير أنها تتكرر في صور شتى.

فالقصة تعبير عن الحياة لاسيما القصص القرآني الذي هو أنباء وأحداث تاريخية لم تلتبس بشيء من الخيال، ولم يدخل عليها شيء غير الواقع.

إن القصة القرآنية إحدى وسائل التعبير التي شغلت مساحة واسعة من القرآن الكريم، لكونها من أبلغ الوسائل تأثيرًا في النفوس، وأكثر قبولا لدى جمهور المستمعين والقارئين، كما أنها تعبير عن روح الأمم، وعقليتها، وطبيعتها.

فالأسلوب القصصي يتميز بسحر يأخذ بالألباب، كما أن التنوع والانتقال من قصة إلى قصة يمتلك النواصي، ويأسر القلوب، ويشد الفكر لذلك فالقصة القرآنية هي أخبار عن أحوال الأمم الماضية في العصور الغابرة، والأزمنة الماضية، والنبوءات السابقة، والحوادث الواقعة، فهي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى تحقيق هدفه الأصيل، والقرآن كتاب دعوة دينية قبل، كل شيء والقصة إحدى وسائله لإبلاغ الدعوة([1])

❖ **المطلب الأول: مفهوم القصة وأثرها وأهميتها وخصائصها في القرآن الكريم.**

- **القصة لغةً:**

القصة: الخبر، وهو القَصَص، وقصَّ علي خبره يقصه قصا: أورده ([2])،ومنه: القص وهو تتبع الأثر, والقَصص: الأثر والقصص: الأخبار المتتبعة([3])، وللقصة معان أُخرى متقاربة، فهي تأتي بمعنى الخبر, والأمر والحديث والجملة من الكلام([4]) والقَصص: الخبر المقصوص، بالفتح, وُضِع موضعَ المصدر حتى صار أغلب عليه, والقِصص, بكسر القاف: جمع القِصة التي تكتب([5]).

فمدلول القصة في اللغة واضح, وواسع, ولكن بعض المُحْدَثين يختار مدلولا للقصة فيه بعض القيود, وهو: الحكاية عن خبر وقع في زمن مضى لا يخلو من عبرة، فيه شيء من التطويل في الأداء([٦]).

- **القصة اصطلاحاً:**

أما مفهوم القصة في القرآن الكريم قد تتفاوت فيه وجهات النظر, وذلك نظرًا لما في القصة القرآنية من خصائص تميزها عن غيرها؛ من صدقٍ في الواقعية التاريخية, وجاذبيةٍ في العرض والبيان, وشموليةٍ في الموضوع, وعلوٍ في الهدف, وتنوعٍ في المقصد والغرض, ووضوحٍ في الإعجاز([٧]).

– فمدلول القصة في القرآن الكريم: هو مدلولها اللغوي مضافاً إليه تلك الخصائصُ والسِمَاتُ التي تميز بها القَصص القرآني على غيره... والله تعالى أعلم.

– وللقصة ألفاظ تداخلها في مدلولها كثيرًا, كـ النبأ, والخبر, والمَثَل([٨]), ولا يتسع المقام لتفصيل ذلك.

- **أثر القصة وأهميتها وخصائصها وأهدافها في القرآن الكريم:**

- **أثر القصة في النفوس:**

لقد جاء القرآن الكريم داعيًا إلى الهداية والرشاد, بأساليبَ شتى ؛ فتارةً بالوعد والوعيد , وتارة بالإقناع العقلي, وتارة ثالثة بوخز الضمير والوجدان, ورابعةً بتوجيه الفطرة إلى حقيقتها, وخامسة بالإعجاز بشتى ألوانه, وأحياناً كثيرة: بأسلوب القصص([٩]), الذي هو أقرب الوسائل التربوية إلى فطرة الإنسان, وأكثر العوامل النفسية تأثيرًا فيه, وذلك لما في هذا الأسلوب من المحاكاة لحالة الإنسان نفسه, فتراه يعيش بكل كيانه في أحداث القصة، وكأنه أحد أفرادها, بل وكأنه هو" بطل القصة" أو" الشاهد" فيها, فيَرَى من خلالها كلٌ من الصالح والطالح ما في نفسه من أحاسيس, وما في خَلَده من أحاديث, وما يجري حوله من أحداث وحوار.. كل ذلك من خلال تجاوبه مع القصة.. فالقصة لا سيّما إن كانت بأسلوب شيّق, وبيان رائق لها من التأثير والجاذبية مالا تبلغه أيّ وسيلة أخرى من الوسائل الدعوية أو التعليمية أو التربوية,

فكيف إذا كانت بأسلوب ربانيٍّ معجز, له من الواقعية والصدق ودقة التصوير, ومِن السِمَاتِ ما ليس لغيره!!

– ولو أننا قمنا بمقارنة سريعة بين أحدث المناهج التعليمية والتربوية اليوم، لوجدنا أن أكثر المناهج نجاحا في عرض الفكرة أو صياغة المادة العلمية بأسلوب قَصصي جذاب.. هي أكثرها نجاحا وأينعها ثمارا، لأنها تكون حينئذ أحب إلى قلب الطالب, وأقرب إلى فطرته, وأسهل عليه حفظا وفهما, وأدعى لتلقيها بدون أيّ مشقة أو ملل..

– ولذلك؛ « كانت القصة ولا تزال مدخلا طبيعيا يدخل منه أصحابُ الرسالاتِ والدعواتِ, والهداةُ, والقادةُ, إلى الناس وإلى عقولهم وقلوبهم, ليلقوا فيها بما يريدونهم عليه, من آراءَ, ومعتقداتٍ, وأعمالٍ..»(١٠), « ولقد أصبحت الفنون كلها اليوم من وراء القصة.. » (١١)

- **أهمية القصة في القرآن الكريم:(١)**

ورودها منسوبة إلى رب العزة والجلال في قوله تعالى:(نحن نقص عليك أحسن القصص) سورة يوسف: (٣).

أمر الله رسوله صلّى الله عليه وسلم أن يقص على الناس ما أوحي إليه: (فاقصص القَصَص لعلهم يتفكرون) سورة الأعراف: (١٧٦).

القصة مَعلم بارز من مَعالم القرآن الكريم لتوضح الحقائق وإزالة الشبهات: (إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون)(سورة النمل ٧٦).

والَقصُّ بالمفهوم العام كان من مهمات الرسل عليهم الصلاة والسلام: (يا معشر الجن والإنس ألم يأتِكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي) (سورة الأنعام ١٣٠).

وحياة الأنبياء هي محور القصص, وهم موضع القدوة والأسوة (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) (سورة الأنعام٩٠).

- **خصائص القَصَص القرآنيّ:**

يتميز القَصَص القرآنيّ عن غيره من سائر القصص بخصائص يعلو بها جلالةً وقداسةً, ويزداد بها بلاغة وإعجازًا, ويعظم بها أهمية وتأثيرًا, وبهذه الخصائص استحق أن يُوسَم بأحسن القصص في قوله تعالى: (نحن نقص عليك أحسن القصص) (سورة يوسف: ٣).

فمن تلك الخصائص:

١- التكرار الهادف المعجز: ([١٣])

ولما لهذه الخِصِّيصة من تميز وظهور.. فإنما أفردنا الحديث عنها لبيان المراد بإطلاق التكرار في القرآن, وبيانِ مغازيه وأهدافه التي تزيده سموا ورفعة, وبيانِ الكتب التي ألفت خاصة في بيان تلك الروعة القرآنية .

٢- الواقعية التاريخية ([١٤]):

ونعني بها أن كل ما في قَصص القرآن الكريم من أخبار الأولين هي حقائق تاريخية صادقة لا يصادمها عقل, ولا يخالفها نقل, وسواءٌ في تلك المصداقية ما كان من أخبار الأنبياء مع أقوامهم, وما كان من قبيل المعجزات وخوارق العادات, كانفلاق البحر وكلام الهدهد والنملة, وليس فيها أي نوع من التناقض أو الاختراع, ولا أي شكل من أشكال الخيال أو التصوير المجرد عن الحقيقة, ولا أي صورة من صور الرمز أو الإشارة.

٣- الشمولية المطلقة ([١٥]):

فقصص القرآن الكريم شاملة من عدة جهات:

١. في حصر النفوس المخاطبة وطِباعها ووجهاتها ومكامن شعورها..
٢. في تنويع الأساليب والوسائل الملائمة لكل جنس وطبقة ولون..
٣. ومن حيث الزمن؛ فالقصة تتحدث عن الماضي والحاضر والمستقبل ([١٦]).
٤. ومن حيث شمولية موضوعاتها؛ فكما أنك تجد في موضوعات القرآن الكريم شمولاً.. فكذلك تجد في قصص القرآن الكريم شمولاً لكل تلك الموضوعات, من عقائد وعبادات وأخلاق وآداب اجتماعية واقتصادية وسلطانية وغير ذلك..

٤- كونها هادفة ([١٧]):

فالغاية الأولى من قصص القرآن الكريم هي تأملها وأخذ العبرة منها وتصحيح العقائد والأخلاق, حتى ينصلح الفرد والمجتمع, وليست الغاية قاصرةً على إمتاع النفوس بسماع قصص مسليّة أو بطولات خيالية , أو إظهارَ براعة أدبية مجردة عن هدف الإصلاح – كما هو الحال في عامة الفنِّ القصصي – وليست الغاية أيضا سردًا تاريخيًا جافا, كما هي مهمة

المؤرخين, فالقرآن الكريم بكل ما فيه من قصص وغيرها هو كتاب هداية وعبرة بالدرجة الأولى, قال تعالى: (لقد كان في قصصهم عبرةٌ لأولي الألباب, ما كان حديثا يفترى, ولكن تصديقَ الذي بين يديه وتفصيلَ كل شيء, وهدًى ورحمة لقوم يؤمنون) (سورة يوسف: ١١١).

٥- الإعجاز القصصي:

إن القصة تمثل جزءًا كبيرًا من القرآن الكريم, وبالتالي فهي كسائر القرآن في كل خصائصه وسِمَاته العامة, ومن ذلك كونه معجزً؛ فوجوه الإعجاز التي تجدها في سائر القرآن الكريم تجدها في القصص , لكن القصص يزيد على ذلك بوجوه أخرى من الإعجاز تميزه عن غيره.. فمن تلك الوجوه: التكرار الهادف؛ حيث تجد في كل موطن من العبر واللطائف والإشارات ما لا تجده في نفس القصة في موطن آخر, ومن وجه آخر؛ حيث يعجز إنسان مهما أوتي من البيان عن التنويع في قصة واحدة بضروب من الفصاحة, دون أن تظهر عليه علامات الضعف أو الرِّكَّة أو التفكك أو التكلف.

ومنها: إخباره عن قصص ماضية دارسة صدَّقها أهل الكتاب.

ومنها: إخباره عن قصص مستقبلة غيبية.. منها ما صدقتها الأيام, ومنها ما سيقع.. وغير ذلك مما هو مبسوط في مظانِّه من كتب الإعجاز...

- **<u>أهداف القَصَص القرآنيّ:</u>**

إن الهدف الأول من القصص القرآني لا يتجاوز المحور الأعظم لأهداف القرآن الكريم, ألا وهو كونه هداية للناس أجمعين فالقصة القرآنية تمثل جزءاً كبيراً من القرآن الكريم, وهي تتحد مع ما سواها مصدرًا وموضوعًا وغايةً, ولكن إذا ما أردنا شيئاً من التفصيل فإننا نستطيع أن نجمل أهداف القصص القرآني في النقاط التالية([١٨]) وذلك من خلال ما أشارت إليه آيات القرآن الكريم متفرقة في معرض حديثها عن قَصص متعددة:

١- تثبيت قلب النبي صلّى الله عليه وسلم, قال تعالى:

(وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) (سورة هود: ١٢٠) ففي أخبار المرسلين وتكذيب أقوامهم تسلية وتصبير لقلب النبي صلّى الله عليه وسلم وللمؤمنين والدعاة

من بعده على ما يلقاه من أذى المشركين وتكذيبهم, كما قال تعالى: (قد نعلم إنه ليَحْزُنُك الذي يقولون..) إلى آخر الآية (ولقد كُذِبتْ رسلٌ مِن قبْلِك فصبروا على ما كُذبوا وأُوذوا حتى أتاهم نصرُنا ولا مبدِّلَ لكلماتِ اللهِ ولقد جاءَكَ من نبأِ المرسلين) (الأنعام: ٣٣- ٣٤)

٢- إثبات صدق النبي صلّى الله عليه وسلم في رسالته؛ لأن دعوة الأنبياء واحدة ومنهجهم واحد, وبالتالي فإن النبي صلّى الله عليه وسلم كما قال جل شأنه:

(قل ما كنتُ بِدْعًا من الرسل) (سورة الأحقاف: ٩) وقال أيضاً: (وما أرسلنا مِن قبلِك إلاّ رجالا نوحي إليهم فاسْألوا أهلَ الذكرِ إن كنتم لا تعلمون) (سورة النمل: ٤٣). ومن وجه آخر ؛ حيث ينبئ النبي صلّى الله عليه وسلم بأخبار الأمم السابقة والقرون الساحقة مما لا يعلمه أحد من كتاب العرب فضلا عن أميٍّ مثلِهِ (صلّى الله عليه وسلم) وهذا ما أشار إليه الحق سبحانه وتعالى حين قال: - وهو يعرض قصص الأنبياء الواردة في (سورة هود -عليه السلام-: ١١) - (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنتَ تعلمُها أنت ولا قومُك من قبلِ هذا), وأيضاً حين قال سبحانه وتعالى مخاطباً نبيه صلّى الله عليه وسلم في (سورة القصص: ٤٤-٤٦) بعد عرض شيق وطويل لنبأ موسى وفرعون:(وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ* وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ* وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)

٣- الاعتبار والاتعاظ من خلال النظر في سنة الله النافذة في هذا الكون, فالعاقبة دائما للمتقين, والبوار والخزي دائماً على الظالمين, وما أكثر الآيات التي تأمرنا بالسير في الأرض للنظر والاعتبار من عواقب وآثار الماضين, وفي هذا يقول سبحانه:

(لقد كان في قَصَصِهم عبرةٌ لأولي الألبابِ) (سورة يوسف: ١١١) ومعنى العبرة: هو التأمل والاتعاظ والاعتبار بأن نقيسَ أنفسنا على السابقين ممن قصَّ الله علينا نبأهم بالحق, فنعلمَ أنَّ سنة الله ماضية فينا كما خلت في الذين من قبلنا, إن خيراً فخير.. وإن شراً فشر..

٤- تصحيح العقائد الفاسدة وتثبيت العقائد الصحيحة - ومحورها أمران:

الإيمان بالله وحده, والإيمان بالبعث بعد الموت, وهذا ظاهر من خلال دعوات الرسل والأنبياء جميعاً لأقوامهم .

٥- تقويم الخلق والسلوك الفردي والجماعي, وتحقيق خلافة الإنسان في الأرض, وهذا ظاهر من خلال معالجة كل نبي لصفة معينة في قومه عدا الكفر كان يسعى لإصلاحها؛ فالقصص يصوّرُ مثلاً شناعة ما كان عليه قوم لوط، وما كان عليه أهل مَدين، وما كان عليه الطغاة والمفسدون من ظلم وجور ومنع للفقراء.. وتصوِّر أيضاً شناعة الحسد الذي حمل أحد ابني آدم على قتل أخيه، وشناعة طبائع اليهود، وفي جانب آخر تصور ما كان عليه الأنبياء والصالحون من صبر وعدل وعطاء، وكيف حقق سيدنا سليمان عليه السلام وغيره الخلافة في الأرض على أساس من العدل والخلق والاستقامة...

٦- وثمة أهداف أخرى كثيرة لمن تأملها من أولي الألباب, مثل التوكل على الله, لاسيما بالنسبة للدعاة والمصلحين, وانتهاج الأسوة الحسنة في الأنبياء, والتجمل بمكارم الأخلاق, وتعلم آداب الحوار, والجدال بالحسنى, وأساليب الدعوة إلى الله تعالى, وكيف يدخل الداعية إلى قلوب المدعوين, ومعرفة طبائع الناس عامةً عند كفرهم وإيمانهم, وطبائع أقوام بعينهم مثل بني إسرائيل, وكيفية التعامل معها, وتشخيص أمراض المنحرفين والمعاندين, وكيفية معالجتها, وغير ذلك ...

هذا ما يتعلق بأهداف القصص القرآني عموماً, أما إنْ أردنا تفصيلاً أكثر فإننا سنجد أنفسنا أمام بحر لا ساحل له ولا قرار, حيث إنَّ المتدبر لقصص القرآن الكريم واجدٌ في كل قصة, بل في كل آية، وفي كل كلمة والتفاتة قرآنية, ومن الأهداف والعبر والإشارات واللطائف.. ما تعجز عنه الألسن ولا تبلغ مداه الأفهام, وصدق الله العظيم إذ يقول مبيناً تلك الأهداف العظيمة من القصص: (لقد كان في قَصَصِهم عبرةٌ لأولي الألباب ما كان حديثا يُفترَى ولكنْ تصديقَ الذي بين يديه وتفصيلَ كلِّ شيءٍ وهدًى ورحمة لقوم يؤمنون) (سورة يوسف: ١١١).

وتأمَّلْ كيف جاء لفظ (عبرةٌ) منكرًا ليفيد الشمول والعموم؛ ففي قصصهم عبرة عن كل شيء, وفي كل شيء من قصصهم عبرة.. ولكنْ مَن يستخرجُ تلك الدرر والجواهر؟!!.. إلا من

آتاه الله عقلا نيرًا وقلبًا مبصرًا.. ولذلك جعل العبرة في الآية السابقة قاصرة على أولي الألباب (إنَّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمعَ وهو شهيدٌ) (سورة ق: ٣٧).

- **التكرار الهادف في القَصَص القرآنيّ:**

يطلق التكرار بمعنى ذكر الشيء مرة بعد مرة.

وأكثر ما يتحقق في ذلك المفهوم أن يُعاد ذكر الشيء بلفظه أو مرادفه من غير أن يكون هناك جديد في الإفادة، وهذا المعنى لا يتحقق في القصص القرآني الكريم، بل لا يمكن أن يتحقق أو يكون.. (١٩).

- فالتكرار نوعان: صوري وحقيقي..

- **التكرار الأول:** هو الواقع في القرآن الكريم، لأن ظَاهِره التكرار، وحقيقةً ليس فيه أيُّ تكرار.

- **التكرار الثاني:** يستحيل وقوعه في القرآن الكريم، ونحن إذ ننفي عن القرآن الكريم أمرًا ما فإننا ننفيه أولاً لإيماننا المطلق بأنه كلام الله القديم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وليس هذا فحسب، بل ولأننا بحثنا عنه في القرآن الكريم فلم نجده أصلاً.. وهذا ما يمليه علينا الإنصاف العلمي-.

ومن هنا يمكننا أن نفهم أهداف التكرار في ضوء الحِكَم والأسرار التالية:

إذا كرر القِصة الواحدة فإنما هو لفائدة اشتمل عليها كل موضع خلت منها المواضع الأخرى(٢٠)، ومن أمثلة ذلك: عصا موسى عليه السلام؛ ففي(سورة طه: ٢٠) وصفَها الحقُ سبحانه بأنها (حيةٌ تسعى) وفي (سورة الأعراف: ١٠٧): (ثعبانٌ مبينٌ) وفي(سورة النمل: ١٠) (تهتز كأنها جان) فهي حية باعتبار ضخامتها، وثعبان من حيث الخِفة والنشاط وسرعة الحركة، وهي كأنها جان لكونها مرعبة (٢١).

أن القصة المكررة تكون متجهة إلى هدف غير الهدف الذي تتجهُ إليه القصة في مواضع أخرى.. أو تتحدث من جهةٍ غير الجهة التي تعرضت إليها في مواضع أخرى.. وذلك نظراً لأن القرآن الكريم كتاب هداية وعبرة، وليس كتاب سرد تاريخي، ولا متعة أدبية فارغة فتكون القصة وسيلة لتحقيق تلك الأهداف المتعددة، متجهة نحو الغرض الذي سيقت من أجله (٢٢).

المعالجة الحكيمة للنفوس ([٢٣]) بترسيخ العقيدة والمفاهيم الصحيحة في عقول المدعوِّين عن طريق التكرار في قالب القصص الواقعي الجذاب، ولقد قرر علم النفس الحديث أن الشيء يرسخ في النفس بتكراره مِرارًا مالا يرسخ بعرضه مرة واحدة أو مرتين، لاسيما إن كان جديداً تنفر منه طبائع المشركين، وتشذ عنه عادات الجاهلين.

أن عرض الحادثة الواحدة في أساليب كثيرة متلونة وصور بيانية متنوعة، دون أن يختل نظمه، أو يضطرب معناه، أو تتفكك روعته، أو يضعف مستواه، لهو مما يعجز عنه أبلغ الفصحاء... وفي هذا المعنى يقول الإمام الباقلاني رحمه الله تعالى في كتابه إعجاز القرآن ([٢٤]):إن إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحدًا.. من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحةُ وتَبِينُ البلاغةُ.

أن القرآن الكريم كما تحدَّاهم بتنوع أساليبه الكثيرة.. تحداهم كذلك بمحاكاة أسلوب واحد من أساليبه الكثيرة، ولون واحد من ألوانه العجيبة.. فعجزوا خاسئين.. وفي هذا المعنى يقول الإمام الباقلاني رحمه الله تعالى في كتابه إعجاز القرآن ([٢٥]): ونبهوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأً ومكررًا!!.

– ولو ذهبنا لنضرب أمثلة لكل ما ذكرنا لطال بنا المقام وضاق عنه المقال، وكم من سرٍ بلاغي وحكمةٍ ومغزًى ودلالةٍ تكمن وراء ظاهرة التكرار يحسبه الفارغون فراغًا وما هو به ([٢٦]).

– ولقد ألَّفَ العلماء قديمًا وحديثًا مصنفاتٍ واسعةً في بيان (أسرار التكرار)

و(الوجوه والنظائر) الواردة في القرآن الكريم, في ألفاظه وفي قصصه, كالإمام الكرماني في كتابه: (أسرار التكرار في القرآن), والإمام ابن الخطيب الفيروز آبادي صاحب القاموس المحيط في كتابه: (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز), وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري في كتابه: (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن).

- **المطلب الثاني: أنواع قصص الأنبياء في القرآن الكريم.**

١- أنواع القصص القرآني:

اختلفت تقسيمات العلماء للقصص القرآني، فمنهم من قسمها باعتبار الطول والقصر ومنهم من قسمها باعتبار شخصيات القصة من أنبياء وغيرهم، فجاء تقسيم القصص عند (د. مريم السباعي) إلى:

- قصة طويلة ترد مجزأة ثم تتجمع في موضعٍ واحد مثل قصة نوح عليه السلام، أو ترد مرة واحدة في مكانٍ واحد كقصة يوسف عليه السلام.
- قصة قصيرة محتوية على بعض العناصر كقصة النمل والهدهد، أو مشتملة على كل عناصر القصة إلا أنها قصيرة ([٢٧])

- أما تقسيمها عند الدكتور مناع القطان فقد كان إلى ثلاثة أنواع:

- قصص الأنبياء: وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد صلى الله عليه وسلم.
- قصص قرآني يتعلق بحوادث مضت، وأشخاص لم تثبت نبوتهم، ومن ذلك قصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.
- قصص متعلقة بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة والهجرة والإسراء والمعراج ونحو ذلك.([٢٨])

٢- أشكال ونماذج من القصص القرآني :

١- قصص الأنبياء عليهم السلام:

من أبرز أشخاص القصة القرآنية الرسل والأنبياء فقد تمثلت فيهم صفات جليلة جامعة صاروا من خلالها مثالا يحتذى به في الأفعال والأقوال، ومن ثم نرى القرآن الكريم قد حفل بحياة الأنبياء عليهم السلام ما لم يحفل بقصص غيرهم، يشهد لذلك كثير من السور التي سميت بأسماء الأنبياء كسورة محمد، ويونس وهود، وإبراهيم ونوح عليهم السلام.

فحياتهم ومواقفهم مع أممهم المتباينة الأصناف والطباع خير قدوة يتتبع خطاها المتأخرون عن زمانهم ويوظفونها تبعا لحياتهم، وقد جاء القرآن الكريم مؤيدا لهذا القول في غير ما آية ، فنراه في سورة الأنعام ينبه النبي صلي الله عليه وسلم إلى ضرورة الاقتداء بمن سبقه من الرسل.

قال تعالى(أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ.) (سورة الأنعام الاية: ٩٠)

فقصصهم وما عرض لهم مع أممهم دعوة لاستنهاض همة النبي وثباته على موقفه.

وفي سورة الممتحنة يؤكد الدعوة ذاتها ويعممها لتشمله هو وأمته فيقول تعالى: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَه ...) (سورة الممتحنة آية: ٤)

ثم جاءت سورة الأحزاب لتؤكد أهمية الأمر وأثر القدوة الهام في التربية لاسيما إذا كانت تلك القدوة ممثلة في شخص الرسول والذي تجمع فيه ما تفرق في الأنبياء والمصلحين من جوانب الكمال.

يقول تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ....) (الأحزاب: ٢١)

والإنسان العاقل لا يقتدي إلا بمن ينفعه في الدنيا والآخرة، إنه يقتدي بالهادين المهذبين، بالأنبياء وأتباعهم الصالحين.

قال صاحب الهمزية النبوية:

زانتك في الخلق العظيم شمائل يغرى بهن ويولع الكرمــاء

المصلحون أصابع جمعت يداً هي أنت بل أنت اليد البيضاء([٢٩])

فحياة الأنبياء وما تضمنها من قصص شتى – وإن كانت في مادتها تنحو تجاه وحدانية الله وطاعته، والعمل بشريعته، والفوز بالجنة والنجاة من النار – هي في الحقيقة الأمر قصص تربوية تعين على نشر الفضيلة بما تشير إليه من قيم خلقية رفيعة.

ب- قصص أشخاص ليسوا أنبياء:

لكنهم ساروا في طريق الأنبياء والمرسلين، وتتبعوا خطاهم فنصروا الحق وصبروا على الإيذاء، ودعوا إلى الله في كل موطن حتى لقوه لا يشرك به شيئا.

فكان تسطير القرآن لقصصهم من قبل الاقتداء وأخذ العبرة والعظة ومن هؤلاء: لقمان الحكيم، ذو القرنين، مؤمن آل فرعون، مؤمن يس، أصحاب الكهف.

ج – قصص نساء صالحات:

لم يغفل الإسلام دور المرأة وأثرها على حركة الحياة فهي منشئة الأجيال ومربية الرجال.

ومن ثم تناولت قصصه المرأة كما تناولت الرجل ومنهن على سبيل المثال :أم موسى، آسية امرأة فرعون، ملكة سبأ، ابنتا شيخ مدين، امرأة عمران، مريم ابنة عمران.

كل هذه النماذج تبين أن المرأة لها ما للرجل من عقل راشد، وقلب مطمئن وبصيرة صائبة وأنها هي التي تملك تقرير مصي رها حتى وإن اجتمعت عليها المصائب والأزمات ٠

د- قصص التائبين:

مثل أصحاب الجنة، وسحرة فرعون، والثلاثة الذين خلفوا عن رسول الله غزوة تبوك، وامرأة العزيز وغيرها.

ولا شك أن وراء قص القرآن لأخبار الصالحين والتائبين طموح هو أن تستمد النفس من نسماتها الإيمان واليقين والصبر و المصابرة، ففي الإنسان بذرة خير إن تعهدها بالعناية والرعاية زكت ونمت، وفيه بذرة شر إن أهملها ولم يلق إليها بالا زاحمت بذرة الخير ودافعتها. وإن إبراز مثل هذه النماذج لخير دافع للآخرين أن يكونوا مثلهم.

هـ- أشخاص كفار في القصص القرآني:

من الناس من لا يؤثر فيه الترغيب ويؤثر فيه الترهيب والقصة القرآنية راعت ذلك النوع فعرضت بعض الشخصيات الكافرة والتي كان لها دور في الإفساد، وصد الناس عن الإيمان بالرسل والعمل بالشريعة، وذلك بقصد التنبيه والتحذير مما وقع فيه أولئك فقد أرداهم سوء تصرفهم إلى خاتمة أليمة.

ومن هذه الشخصيات فرعون، أبو لهب ، امرأته ... الخ كل هذه الشخصيات هي عبرة لأولي الألباب.

و- نساء كافرات في القصص القرآني:

يقرر القرآن الكريم أن المرأة إحدى شقي النفس الإنسانية التي خلقها الله تعالى، وأن ميزان عملها لا يختلف عن ميزان الرجل ومن ثم تحاسب على الشر كما تجزى على الخير.

وبما أن القرآن الكريم منهج حياة عرض من ذي قبل نماذج مضيئة للمرأة للامتثال والاقتداء، فإنه بجانب ذلك عرض نماذج قاتمة للتخويف والتنبيه، وهن:**(امرأة نوح وامرأة لوط.)**

هاتان المرأتان على العكس تماما من امرأة عمران أو امرأة فرعون أو أم موسى أو حتى امرأة العزيز، فقد أبت كل منهما أن ترى نور الحق رغم ما يملأ بيتهما من صلاح وإيمان.

هذا النموذج يؤكد أن القرآن الكريم ينظر للمرأة على أنها إنسانة مكلفة مؤهلة لها ما للرجل من عقل حر وإرادة متحررة، وأنها هي التي تحدد شخصيتها بنفسها، وفي ذات الوقت تحاسب عن أخطائها بمفردها لا يتعدى ذلك إلى غيرها.

قال تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ) (التحريم الاية:١٠)

ومثلهما في عصر الرسالة امرأة أبى لهب، فقد آذت النبي كثيرا وانحرفت عن الحق إلى الغواية والفساد فتوعدها الله هي وزوجها بشديد العذاب.

قال تعالى (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ * في جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) (سورة المسد الاية: ١-٥)

٣-الفرق بين القصة القرآنية والقصة الأدبية:

أ) أن القصة القرآنية من عند الله، والأدبية من عند البشر.

ب) أن القصة القرآنية تتصف بالصدق والواقعية، والأدبية يتخللها الخيال والرمزية، والأسطورة.

ج) الهدف من القصة القرآنية أخذ العبرة والعظة، وهما في الأدبية بعض أهدافها.

د) القصة القرآنية ليست عملا فنيا مقصودا لذاته، ومن ثم لا يجوز إخضاعه لمعايير أدبية أو فنية، وإن حوت في حقيقة الأمر العناصر والشكل الفني للقصة الأدبية.

٤- أسلوب القصة القرآنية:

ينفرد أسلوب القرآن في قصصه بكونه أسلوبًا متميزًا لا نظير له بين الأساليب العربية يقول الباقلاني "أسلوب القرآن خاص به لا يضارعه فيه غيره، كما أنه خارج عن الأساليب المعروفة"([٣٠])

فهو أسلوب معجز كان له صنيعه في القلوب، وتأثيره في النفوس؛ وذلك من تأثير بلاغته التي ترجع إلى جمال ألفاظه، وحسن نظمه ، وسمو معانيه "لا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح، ولا أجزل، ولا أعذب من ألفاظه ولا ترى نظمًا أحسن تأليفا، ولا اشد تلازمًا، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل إنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها"([٣١])

وهذه الخصوصية الفريدة لأسلوب القرآن التي لا يرتقي إليه أولا يجاريها أسلوب في العربية في ماضيها، وحاضرها، ومستقبلها، وهو ما اقر به دارسو الأساليب البلاغية "من حيث جمال الأسلوب مع هذا المقدار في الطول، والاشتمال على الموضوعات المختلفة، والنواحي، والوعيد، والقصص" ([٣٢])

ولعل هذا الإعجاب، والانبهار، والذهول أمام أسلوب القرآن يعود لإيقاعه الموسيقي الذي ينجم عن ترابط الكلمات بشكل خاص ليكون نظمًا معينًا مرتبًا من مجموعة مقاطع صوتية كما ينجم من الفاصلة واطرادها أو تغيرها في نسق معين، والفاصلة: هي مفتاح الوزن القرآني وموسيقى نظمه.

وأسلوب القرآن في قصصه هو أن يختار لقطات حية من الوقائع التاريخية، ولا يثقلها بما هو تافه من الجزئيات، والتفاصيل التي تصرف الفكر عن التدبر، والاعتبار كما يختار الرسام للمشاهد من الأشكال والألوان ما يحقق له الانسجام وألا فحسبه الصورة الفوتوغرافية الآلية إنه يروي بعض أحداث القصة بأسلوب يبعث فيها الحياة، فتتخطى القرون ويجعلها كأنها ماثلة كما في وَلما جاءت رسلُنا لوطًا سيء بهم و ضاق بهم ذَرعًا وَقالَ هَذا يوم قصة لوط قال تعالى: (وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ۞ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ۞ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ۞ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ)(سورة هود :آية ٧٧ -٨١)

كما وصف منهج القرآن بأنه قائم على عرض لأحداث التاريخ بأسلوب أدبي مؤثر "القرآن حين يعرض قصص الأنبياء وغيرهم نراه يأخذ مواد القصص من أحداث التاريخ، ووقائعه لكنه يعرضها عرضًا أدبيا، ويسوقها سوقًا عاطفيًا؛ ليبين المعاني، ويؤيد الأغراض، ويؤثر فيها التأثير الوجداني"(٣٣)

وقد وافق هذا العرض القصصي طبيعة الإنسان وميوله النفسية "والإنسان بطبيعة مغرم بالقصص محب لها، ووافق هذا الحب ضرورة العقيدة، فأنشأت كل جماعة قصص حول آلهتها ظهرت ساذجة أول الأمر ثم تعقدت لتعقد الخيال، وصارت على مر العصور أسطورية رائعة وعظيمة وخالد ة، صورة لنا ما أمنت به جماعات الإنسان الأولى من عقائد وما قدسته من معبودات"(٣٤)

فقد كان الفن القصصي منتشرا بين العرب يستهويهم، ويشدهم إليه ويترك في نفوسهم أثرًا لا يمحى ومما يلاحظ أن القرآن يختار من أحداث التاريخ، وقصص الأنبياء ما يحقق الهدف الذي يرمي إليه ولا يصح حينئذ أن يؤخذ عليه أنه لا يتناول القصة من جميع أطرافها أو انه لا يتسلسل في أيراد حدوثها مرتبة منظمة، وأنه يصعب فهم القصة من القرآن على من لم يطلع عليها من مصدر آخر؛ وذلك أن القرآن يأخذ من ال قصة كلها محبوكة الأطراف موصولة الأجزاء، مرتبطًا بعضه ببعض في تسلسل، واتساق يسلمك السابق منها إلى لاحقه حتى تصل إلى ختامها لما نراه في يوسف عليه السلام، و في معظم الأحيان يأخذ من القصة بعضها؛ لان في هذا البعض ما يحقق الهدف، وقد يلمح القرآن ويشير إلى القصة تلميحًا يستغني به عن الإطالة اعتمادا على أن القصة معروفة مشهورة .

فالطريقة التي اتبعت في عرض القصة من الناحية الفنية، هي طريقة التلخيص الإجمالي أولا، ثم العرض التفصيلي أخيرًا وهي تعرض في مشاهد، ويترك بين المشاهد فجوات يعرف ما فيها من السياق وقد وردت في القرآن إشارات مجملة لبعض الأحداث التي كانت معروفة عند المخاطبين بها، وكان في ذلك الإجمال كفاية لأداء الغرض، ولم يكن هناك ما يدعو إلى التفصيل "المناسبة الموضوعية هي التي تحدد القدر الذي يعرض من القصة في موضع، كما تحدد طريقة العرض، وخصائص الأداء، والقرآن كتاب دعوة يجيء القصص المختار بالطريقة التي تناسب الجو والسياق وتحقق الجمال الفني الصادق الذي لا يعتمد على الخلق، والتزويق ولكن يعتمد على أبداع العرض، وقوة الحق، وجمال الأداء"([٣٥])

فجودة أسلوب القرآن مظهر إبداعه، وقوة تأثيره في البيئة التي نزل فيها، وفي نفوس أصحاب الذوق البياني ممن حذق العربية، وسبر أغواره ا، والتوقف على أسرارها والمتتبع لأسلوب القرآن يراه لم يسلك طريقة واحدة في رسم الصورة وعرض الحادثة، وإنما نوع من قصصه، ويلاحظ من تنوعه هذه الظاهرة([٣٦])

١- كان القرآن يعتمد أحيانًا على الألفاظ الضخمة ذات رنين قوي التي تؤثر بمبناها ومعناها كما تؤثر بموسيقاها، وكان يعتمد أحيانًا على الجمل المسجوعة القصيرة الفقرات، ليزيد من قوة الرنين فتملا موسيقى الألفاظ الإذن نغما، والقلب خشية ورهبة، أو غبطة وسرورا؛

وذلك من أمثال (كذَّبت قبلهم قَوم نوح فكذَّبوا عبدَنا وَقالُوا مجنُون وازدجِر...) القصص قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۞ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۞ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۞ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابًا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۞ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۞) (سورة القمر الآية ٩-١٦)

٢- وكان يعتمد أحيانًا أخرى على تتابع الأحداث تتابعا سريعا، لتؤثر في النفس فأَرسْلَنا عليهِم الطُّوَفان والْجراد: وتهز الفؤاد، وذلك مثل قوله تعالى: (فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ) (سورة الأعراف الآية: ١٣٣)

٣- ولعل هذا هو الذي دعا أيضًا إلى أن يجمع ألوانًا من القصص في سورة واحدة، وذلك من أمثال قصص الأعراف وهود والشعراء والقمر.

٤- وكان أحيانًا أخرى وهو الغالب يعتمد على الألفاظ السهلة اللينة التي تصدر عنه كما تصدر الألفاظ في الأحاديث العادية، يقص وكأنه يخاطب القوم بلغتهم العادية، ويتحدث إليهم بأحاديثهم المألوفة، ويلاحظ في مثل هذا اللون أن حركة الأسلوب كانت تمشي مع حركة العاطفة، ولعل خير ما يمثل هذه وَلما ورد ماء مدين وجد عَليه أُمة الخاصة هذا الجزء من قصص موسى وذلك مثل قوله تعالى: (وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ

كَبِيرٌ ۞ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۞ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ۞ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ) (سورة القصص :آية،٢٣-٢٨)

وهكذا يشكل الأسلوب القصصي على تنوعه "الدعامة الأساسية للعملية التربوية والتعليمية وبدونه تبقى هذه العملية مبتورة ناقصة يعوزها التطبيق العملي، وعرض النماذج والشخوص الواقعية الحية التي تكتمل بترسيخ المفاهيم التربوية في الأذهان "([٣٧])، ولفظة الأسلوب كما يرى أكثر الباحثين ([٣٨]) هنا تنصرف إلى مفهومين:

- **ا- المفهوم الأول: هو الأسلوب اللغوي**
- **ب- والمفهوم الثاني: هو أسلوب معالجة القصة، والأسلوب اللغوي في المدرسة.**

الواقعية للقصة يجب أن يكون بعيدًا عن تعمد التعقيد اللفظي، وأن يتوخى مؤلف القصة اختيار الألفاظ السهلة المعبرة، وبهذا يعني الأسلوب المفردات والألفاظ العربية السليمة بعيدًا عن التكرار الألفاظ لمعنى واحد، والألفاظ التي صيغت بها قصص القرآن الكريم تعتبر في هذا الصدد إعجازًا ما بعده إعجاز، فكل لفظ له معناه المحدد الذي يعتبر في نفس الوقت جزء مكملا لبناء القصة والتتابع السردي لأحداثها لذلك احتلت القصة مساحة واسعة من القرآن الكريم اعتمد عليها كأسلوب استراتيجي ثابت من أساليبه التربوية الدينية، وقاعدة أساسية لتوجيه الفطرة الإنسانية نحو الأيمان بالله .

فالقصة موزعة المعاني موزعة الأسلوب، موزعة التصوير وكل هذه النواحي تتحد على إخراجها قوية تامة سليمة معجزة، ويقصد من ذلك تغاير أسلوب القصص، فمرة تعرض القصة من أولها، ومرة من آخرها وتارة كاملة، وتارة يكتفي ببعض حلقاتها، وتارة تتوسط بين هذا

وذاك حيثما تكمن العبرة ويتحقق الغرض في هذا الجزء أو ذاك "إن التكرار في القرآن وثيق الصلة بمنهج القصص وهو يخدم غرضين في آن واحد، غرضًا فنيًا يتمثل في تجديد أسلوبها والتفنن في عرضها إيجازًا، أو أطنابًا، وغرضًا نفسيًا بما له تأثير في النفوس"([٣٩])

الحواشي:

١ سيد قطب، التصوير الفني في القران، مصر، دار المعارف، ١٩٥٦، ص ١١٩

٢ ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار أحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ: (٧٤١٧).

٣ مفردات ألفاظ القرآن ص:(٦٧١).

٤ اللسان: (٧ /٧٣،٧٤) .

٥ اللسان: (٧ /٧٣،٧٤) .

٦ السيد، عبد الحافظ عبد ربه. (١٩٧٢م). بحوث في قصص القرآن .بيروت : دار الكتب اللبناني . الطبعة الأولى.ص: (٤١).

٧ يوسف محمد فارح يوسف- الدعوة إلى الله تعالى ،لبنان: المكتب الإسلامي، ٢٠١٩ ص: (١٤٦).

٨ الدعوة إلى الله تعالى ص: (١٤٥).

٩ على تداخل فيما بين هذه الأساليب المتنوعة، فالإعجاز مثلا في القرآن يشمل كل هذه الأساليب، والقَصص كثيرا ما يشتمل عليها كلها، وأحيانا يشتمل على جملة منها.

١٠ عبدالكريم الخطيب. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، القاهرة ١٩٥٦ ص: (٧)

١١ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ص: (٧)

١٢الدعوة إلى الله تعالى ص: (١٤٣ ١٤٤).

١٣ الدعوة إلى الله تعالى ص: (١٦٠).

١٤ بلاغة القرآن الكريم ص: (١٠٥)، وهبة الزحيلي، القصة القرآنية هداية وبيان، دار الخير،ط٢، ١٤٠٥هـ ص: (١٨).

١٥ الدعوة إلى الله تعالى ص: (١٦٢)

١٦ الدعوة إلى الله تعالى ص: (١٦٢)

١٧ مريم السباعي، القصة القرآنية، جدة: مكتبة مكة، ١٤٠٧هـ ص: (٥).

١٨ الدعوة إلى الله تعالى ص: (١٥٨- ١٦٠).

١٩ بحوث في قصص القرآن ص: (١٨٠).

٢٠ البرهان في علوم القرآن: (٣/٢٥-٢٧) ، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ص: (٢٤١) ، بحوث في قصص القرآن ص: (١٨١).

٢١ الدعوة إلى الله تعالى ص: (١٦١).

٢٢ بحوث في قصص القرآن ص:(١٨٠-١٨١)

٢٣ الدعوة إلى الله تعالى ص: (١٦١).

٢٤ فضل حسين عباس، قصص القرآن، الأردن، دار النفائس للنشؤ والتوزيع، ط٣ ، ٢٠١٠م، ص: (٢٤٠) ، وقد أشار إلى هاتين الحكمتين مِن قبلُ الإمامُ الزركشيُّ في كتابه: البرهان (٢٧\٣) ، وذكر ثمة (٣/٢٥- ٢٨) أكثر من عشر فوائد للتكرار القصصي، وهي قريبة أو داخلة فيما أشرنا إليه، فاخترنا الإيجاز على التفصيل.

٢٥ عباس، فضل حسن. (١٤٢٠هـ) . قصص القرآن الكريم . الأردن : دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع . الطبعة الأولى.ص: (٢٤٠) ، وقد أشار إلى هاتين الحكمتين مِن قبلُ الإمامُ الزركشيُّ في كتابه:» البرهان« (٢٧\٣) ، وذكر ثمة (٣/٢٥- ٢٨) أكثر من عشر فوائد للتكرار القصصي، وهي قريبة أو داخلة فيما أشرنا إليه، فاخترنا الإيجاز على التفصيل.

٢٦ الدعوة إلى الله تعالى ص: (١٦١)

٢٧ القصة في القرآن الكريم، ص ١٥٥)

٢٨ (مباحث في علوم القرآن)، ص ٣٠٦

٢٩ الشوقيات، أحمد شوقي ١/ ٤١)

(٣٠إعجاز القرآن :أبوبكر محمد ابن الطيب الباقلاني، تحقيق احمد صقر، دار المعارف مصر، ص60

٣١ بلاغة القرآن :د .احمد بدوي، ص24

٣٢أعجاز القرآن :الباقلاني، المرجع السابق، ص67

٣٣الفن القصصي في القرآن :محمد احمد خلف الله، المرجع السابق، ص122

٣٤ الأدب وبناء الإنسان :علي الحديدي، منشورات الكلية الجامعة الليبية، 1393 هـ. 1973 م، ص12

٣٥ اليهود في القرآن :طبارة ،بيروت ، دار الكتب، ص256

٣٦ الفن القصصي في القران :محمد أحمد خلف الله، مكتبة النهضة بمصر ١٩٥٩، ص330

٣٧ . القصص القرآني: فالح الربيعي، بغداد، الدار الثقافية، ط ١٢٠٠٢، ص ٢،

٣٨ حسن، محمد كامل . (١٣٩٥هـ). القرآن والقصة الحديثة. بيروت: دار البحوث العلمية . الطبعة الأولى، ص ١٢/١١

٣٩ سيكولوجية القصة في القرآن :المرجع السابق، ص95

فهرس المصادر والمراجع:

- أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ)، أعجاز القرآن للباقلاني، تحقيق : السيد أحمد صقر، الناشر: دار المعارف – مصر، ط٥ ، ١٩٩٧م
- أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت ١٣٨٤هـ) ، بلاغة القرآن، الناشر: نهضه مصر – القاهرة ٢٠٠٥
- أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت ١٣٨٤هـ) ، بلاغة القرآن، الناشر: نهضه مصر – القاهرة ٢٠٠٥
- الحسين الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن.. ط ٣، دمشق: دار القلم ١٤٢٣ هـ.
- سيد قطب، التصوير الفني في القران، القاهرة، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط١٠، ١٩٨٨ م
- عبد الحافظ عبد ربه السيد. بحوث في قصص القرآن .بيروت: دار الكتب اللبناني. ١٩٧٢م
- عبدالكريم الخطيب. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، القاهرة ١٩٥٦م.
- عفيف عبدالفتاح طبارة : اليهود في القرآن :بيروت ، دار الكتب، ص256
- علي الحديدي، الأدب وبناء الإنسان، طرابلس، الجامعة الليبية، ١٩٧٣-١٣٩٣
- فالح الربيعي، القصص القرآني، بغداد، الدار الثقافية، ط ٢٠٠١،
- فضل حسن عباس،.. قصص القرآن الكريم . الأردن : دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع . ط٢. (١٤٢٠هـ)
- محمد ابن منظور، لسان العرب.. ط ٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ.
- محمد احمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن مكتبة النهضة بمصر .١٩٥٩
- محمد الزركشي،. البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل. د.ط، بيروت: دار المعرفة، ١٣٩١ هـ.

- محمد كامل حسن،. القرآن والقصة الحديثة. بيروت: دار البحوث العلمية .ط١. (١٣٩٥هـ
- محمود الشريف،. (د . ت). القصة في القرآن. بيروت: دار مكتبة هلال
- مريم السباعي، القصة في القرآن الكريم، تحقيق احمد علوش جامعة ام القري، ١٩٨٤م
- مناع القطان، (مباحث في علوم القرآن)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م
- نفرة التهامي. سيكولوجية القصة في القرآن . الجزائر الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧١.
- وهبة الزحيلي،.. القصة القرآنية هداية وبيان . دمشق: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع. ط٢. (١٤١٨هـ)
- يوسف محمد فارح يوسف. الدعوة إلى الله تعالى، لبنان: المكتب الإسلامي، ٢٠١٩م.